جامعة الشهيد حمة لخضر ـ الوادي
معهد العلوم الإسلامية

الملتقى الدولي الأول

الوسطية في الغرب الإسلامي

وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا

الأحد والإثنين | 14-15 ربيع الأول 1439 هـ
03-04 ديسمبر 2017 م

المحور الثالث:

مقومات الوسطية في الغرب الإسلامي
وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا

جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
بالتعاون مع
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
ينظم الملتقى الدولي الأول
الوسطية في الغرب الإسلامي
وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا
14-15 ربيع الأول 1439 هـ
03-04 ديسمبر 2017 م
الأحد والإثنين
قاعة المحاضرات الكبرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله
القطب الجامعي حي الشط - الوادي

الوسطية والاعتدال خلال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب
– الفاتح أبو المهاجر دينار أنموذجًا –

بقلم
د. خالد حموم
قسم التاريخ والآثار ـ جامعة محمد لمين دباغية ـ سطيف 2
Khaled_dz2011@yahoo.fr

ملخص البحث

تولى أبو المهاجر دينار قيادة الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب بعد عزل عقبة بن نافع سنة خمس وخمسين هجرية، وقد جاء هذا القائد بسياسة جديدة، تتمثل في إتباع منهج الوسطية والاعتدال خلال الفتح، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، وصالح زعيم قبيلة أوربة البرنسيَّة كسيلة بن لمزم، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام مع جموع كثيرة من البربر.

ومن ثمار معاملته الحسنة للبربر قيامهم بعد دخولهم في الإسلام بمساعدته على تشيِّيد مدينته الجديدة تاكيروان لتكون عاصمةً للفاتحين في حدود سنة 55هـ/675م، كما أعانوه على محاربة الروم البيزنطيِّين الدخلاء، ومواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الأوسط.

ويعتبر أبو المهاجر دينار أوَّل والٍ لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب الأوسط، حيث تذكر المصادر التاريخية بأنَّه خرج بجيوشه ناحية المغرب الأوسط وفتح كلَّ ما مر به، حتَّى انتهى إلى العيون التي تُسمَّى اليوم عيون أبي المهاجر نحو مدينة تلمسان. وخلال حملته هذه على المغرب الأوسط، يذكر المالكي صاحب رياض النفوس أنَّ أبا المهاجر ترك عاصمته تاكيروان دون أن يحرسها والٍ أو حامية إسلامية، ولم يخلف فيها إلا ضعفاء القوم من الشيوخ والنِّساء، ويبدوا من هذا العمل أنَّه كان لا يخشى أن ينضم أهلها البربر تمردًا عليه ويستولوا على عاصمته ويطردوا من بقي فيها من المسلمين لأنَّ السياسة التي جرى عليها في معاملة البربر بالحسنى أتت ثمارها.

وأحاول من خلال هذا البحث الحديث عن سياسة الفاتح أبو المهاجر دينار المبنية على الوسطية والاعتدال واللين والمعاملة الحسنة مع البربر، وأتساءل هل أتت هذه السياسة أكلها ونجحت في فتح بلاد المغرب ونشر الإسلام به ؟

مقدمة:

تعتبر الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب من المحطات التاريخيَّة الهامَّة في هذه الأرض الطيبة، حيث شكلت حدثًا تاريخيًا بارزًا اهتمت به الأجيال المتعاقبة، فكل جيل كان يطرح العديد من التساؤلات تتمثل بالخصوص في محاولة التقصي عن كيفية فتح هذه البلاد ؟ ومتى فتحت ؟ ومن قام بفتحها ؟

وإن حاولنا تسليط الضوء عن التساؤل الأخير الذي يتمثل في معرفة من هم الفاتحين الذين قاموا بفتح هذه البلاد، فقد عرفت هذه البلاد العديد من القادة الفاتحين منهم الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم التابعين، وأولهم هو عمرو بن العاص ثانيهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فمعاوية بن حديج الكندي، ثمَّ عقبة بن نافع الفهري، ثمَّ أبو المهاجر دينار.

وقد تولى هذا الأخير ولاية بلاد المغرب وقيادة الفتوحات الإسلامية بها بعد عزل عقبة بن نافع سنة 55هـ/675م، ويعد من أبرز القادة الفاتحين، حيث كان له دورًا فعالًا في عملية الفتح، وقد جاء بسياسة مغايرة للفاتحين الذين سبقوه، تتمثل في اتباع منهج الوسطية والاعتدال خلال الفتح، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، وصالح زعيم قبيلة أوربة البرنسيَّة كسيلة بن لمزم، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام مع جموع كثيرة من البربر.

وأحاول من خلال هذا البحث الموجه خصيصًا للمشاركة في فعاليات الملتقى الدولي الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، الحديث عن السياسة التي اتبعها الفاتح أبو المهاجر دينار المبنية على الوسطية والاعتدال واللين والمعاملة الحسنة مع البربر، وأتساءل هل أتت هذه السياسة أكلها ونجحت في فتح بلاد المغرب ونشر الإسلام به ؟

وقد طرحت من أجل الإجابة على هذه الإشكالية العديد من التساؤلات: من هو الفاتح أبي المهاجر دينار ؟ متى تولى قيادة الفتوحات في بلاد المغرب ؟ وما هي المدن التي فتحها ؟ وما هي النتائج التي تمخضت من قيادته للفتوحات ؟ وكيف كانت نهايته (استشهاده) ؟

وعن الدِّراسات السابقة التي تناولت موضوع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فهي كثيرة، ولكنها تناولت فترة القائد أبو المهاجر دينار باختصار شديد، واتبعت المنحى الذي اتبعته المصادر التَّاريخية، ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسية وهي:

- وقوع ولايته لبلاد المغرب بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثَّانيَّة.
- استياء الرواة من تصرفات أبي المهاجر بإيذائه وسجنه لعقبة.
- استياء الرواة من تخريبه للقيروان وترحيل النَّاس منها.

ولم أعثر بعد بحث معمق على دراسة حديثة تخص الفاتح أبو المهاجر، فقد وردت الأبحاث حوله في دراسات شاملة تشمل موضوع الفتوحات الإسلامية للمغرب وتاريخ المغرب الإسلامي ككل، ومن بين هذه الدِّراسات الحديثة التي تناولت الفتوحات الإسلامية وتاريخ المغرب بصفة عامَّةً نذكر منها:

كتاب: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي للسيد عبد العزيز سالم، والمسلمون في المغرب والأندلس لزيتون محمَّد محمَّد، والمغرب الإسلامي لموسى لقبال، وتاريخ الجزائر العام لعبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي وغيرها.

أمَّا المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التَّاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادًا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، وتخلَّلت عمليَّة سرد الأحداث منهج التَّحليل والنقد لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة، وكثفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مُساندة لاستنتاج.

وللإجابة على مجموعة التَّساؤلات المطروحة اتبعت الخطة التَّاليَّة: قسَّمت البحث إلى مقدمة ومجموعة مباحث وخاتمة، أمَّا المقدمة فعرَّفت فيها بالموضوع وبينت مدى أهميته وإشكاليته وعرضت الدِّراسات السابقة عن الموضوع والمنهجيَّة المتبعة في البحث وخطة العمل.

وبالنِّسبة للعرض الذي يحوي مجموعة مباحث فقد حاولت من خلاله الإجابة على الإشكاليَّة والتساؤلات التي طرحتها، حيث تحدثت في المبحث الأوَّل عن كيفية تعيِّن أبي المهاجر دينار واليًا على بلاد المغرب، وتطرقت في المبحث الثَّاني للحديث عن السياسة التي اتبعها مع البربر أثناء الفتح وأبرز فتوحاته، أمَّا المبحث الثَّالث فخصَّصته للحديث عن استشهاده في معركة تهودة رفقة عقبة بن نافع.

وأخيرًا أنهيت الموضوع بخاتمة حوت أهم النَّتائج المتوصل إليها في البحث، وأتبعتها بالتوصيات التي رأيت أنَّها تفيد الموضوع والملتقى ككل، وألحقتها بخريطة رأيت أنَّها تخدم موضوع دراستي.

تعيِّينه واليًا على بلاد المغرب:

عندما أوشك عقبة بن نافع الفهري[1] على الانتهاء من تأسيس القيروان لكي يواصل الفتح ويزيل سلطان الروم البيزنطيِّين من شمال بلاد المغرب، ثمَّ يسير في نشر الإسلام بين البربر حسب خطته[2]، فوجئ بعزله سنة 55هـ/675م[3]، حيث عزله والي مصر الصحابي الجليل مسلمة بن مخلد الأنصاري (رضي الله عنه) وعيَّن مولاه

---

[1]- هو ابن خالة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ولد في أوائل الهجرة فاعتبر لذلك صحابي المولد، تولى إمارة جيش المسلمين في المغرب مرتين، المرة الأولى 50هـ-55هـ/670م-675م، والمرة الثَّانية 62هـ-64هـ/682م-684م. (انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م، ط1، ص41، هامش1 ؛ مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، 2005، ط1، ص83-84).

[2]- محمَّد محمَّد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص29.

[3]- ابن عذارى: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،1983م، ط3، ج1، ص21 ؛ ابن خلدون، عبد الرَّحمان: تاريخ ابن خلدون، المُسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص237. (غير أنَّ ابن عبد الحكم يقول أنَّ أبا المهاجر دينار تولى أمر بلاد المغرب سنة 51هـ/671م، بينما يرى المالكي أنَّه كان سنة 57هـ/677م، والأرجح ما أثبتناه في المتن بالنظر لسيرورة الأحداث التاريخية). (انظر: فُتُوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، د.ت، ج1،

أبو المهاجر دينار واليًا جديدًا على بلاد المغرب[4].

وقد أساء أبو المهاجر عزل عقبة وتجاهل نصيحة مولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي أوصاه بأن يعزله بأفضل حال، حيث قام بسجنه والتَّضيِّق عليه، ولما بلغ الخبر إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنها) طلب من أبي المهاجر إطلاق سراحه وإرساله إليه ففعل، ولمَّا فك وثاقه صلى عقبة ودعا الله عزَّ وجلَّ أن يمكنه منه حيث قال "اللّهم لا تُمتني حتَّى تُمكنِّي من أبي المهاجر دينار" فبلغ ذلك أبا المهاجر فلم يزل خائفًا منذ بلغته دعوته[5].

ومضى عقبة إلى بلاد المشرق قاصدًا مقر الخلافة بدمشق ولمَّا وصل مصر، جاءه واليها مسلمة بن مخلد الأنصاري يعتذر منه، وأقسم له بالله بأنَّه أوصى أبا المهاجر أن يحسن عزله ولكنه لم يلتزم أوامره[6].

وهجر أبو المهاجر مدينة عقبة القيروان وأخلاها من سكانها، حيث كره النزول بها[7]، ويذكر ابن عذارى أنَّه أمر النَّاس بإحراقها[8]، بينما يذكر ابن خلدون أنَّه قام بتخريبها[9]، وبنا مدينة جديدة تبعد عنها بميلين وردت بأسماء مختلفة تاكيروان، تاكرونة، تكرور، دكرور وغيرها[10]، وقد شيَّدها وسط بلاد البربر يقال في جبل وسلات مسكن قبيلة مزاتة البربرية، وبالتعاون مع البربر عمَّر مبانيها وجدَّ في تشيِّدها[11] واستقر بها رفقة جنده[12].

سياسته وفتوحاته:

جاء أبو المهاجر بسياسة جديدة ومغايرة للفاتحين الذين سبقوه في مسألة التعامل مع سكان بلاد المغرب

ص265 ؛ رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ط2، ج1، ص33).

[4]- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص31 ؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237.

[5]- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص265-266 ؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص22. (أعتقد أنَّ أسوأ عمل قام به أبي المهاجر دينار خلال ولايته لبلاد المغرب هو إيذائه لعقبة بن نافع وسجنه، وقد ولَّد ذلك كما يتضح من أقوال المؤرخين عداوةً شخصية بين الرجلين، حيث قام عقبة بدوره بالانتقام منه عندما تمَّ عزله وتولى أمر المغرب، فأثر ذلك بشكل واضح في عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب).

[6]- يذكر ابن عبد الحكم أنَّه قيل لمسلمة بن مخلد لو أقررت عقبة فإنَّ له جزالةً وفضلًا، فقال "إنَّ أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نَيْلٍ، فنحن نحب أن نكافئه. (انظر: فُتُوح مصر والمغرب، ج1، ص266).

[7]- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص266 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص22.

[8]- البيان المغرب، ج1، ص22. (حرق القيروان أو تخريبها وتهجير النَّاس منها يعتبر خطأً فادحًا ارتكبه أبو المهاجر دينار، لأنَّ بناء مدينة أخرى تضاهي القيروان تتطلب وقتًا وبالتالي يتلهى الجند عن مواصلة الفتوحات، كما أنَّها تتطلب أموالًا ضخمة وعدة وعتاد، فلو استقر أبو المهاجر وجنده في القيروان منذ البداية لما تأخرت عملية الفتح).

[9]- تاريخ ابن خلدون، ج4، ص237. (غير أنَّ المؤرخ موسى لقبال يستبعد فكرة تخريب القيروان، ويرجح بأنَّ أبا المهاجر أمر بتهجير الناس منها فقط). (انظر: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م، ط1، ص36).

[10]- ابن عذارى، المرجع السَّابق، ج1، ص22 ؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص31-32 ؛ موسى لقبال، المرجع السَّابق، ص35-36.

[11]- موسى لقبال، المرجع السَّابق، ص36.

[12]- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص266.

الأصليِّين البربر، حيث قام باستمالتهم عن طريق المعاملة الحسنة[13]، وصالح زعيم قبيلة أوربة البرنسيَّة كسيلة بن لمزم[14]، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام مع جموع كثيرة من البربر[15]، فسهَّل له بذلك مواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الأوسط.

ويعتبر أبو المهاجر دينار أوَّل والي لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب الأوسط، فبعد بناءه لمدينته الجديدة تاكيروان في حدود سنة 55هـ/675م والتي اتخذها عاصمةً جديدة لبلاد المغرب بدلًا عن قيروان عقبة[16]، واستمالته للبربر ضدَّ الروم البيزنطيِّين[17]، انطلقت جيوشه منها صوب المغرب الأوسط لمحاولة فتحه.

وتذكر المصادر التَّاريخيَّة حملته على المغرب الأوسط باختصار شديد[18]، حيث يذكر كل من المالكي والدبَّاغ بأنَّه خرج بجيوشه ناحية المغرب الأوسط وفتح كلَّ ما مر به، حتَّى انتهى إلى العيون التي تُسمَّى اليوم عيون أبي

---

[13]- ظهرت سياسة المعاملة الحسنة للبربر جليًا في عهد الفاتح أبي المهاجر دينار، حيث أثمرت هذه السياسة في إقناع أعداد كثيرة منهم للدخول في الإسلام، وأهم من ذلك أنَّه أدخل زعيمهم كسيلة للإسلام وأقنعه بترك القتال والانضمام للفاتحين، ولكن هذه السياسة لم يختص بها لوحده، فالقادة والولاة الذين سبقوه أحسنوا أيضًا للبربر، ولم يبالغوا في أذيتهم وقتلهم كما يزعم المستشرقين، وقد أسلمت جموع كثيرة منهم في عهدهم وساهمت في الفتح، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره ابن عبد الحكم أنَّه تمَّ في عهد الفاتح عمرو بن العاص فتح مدينة برقة صلحًا على أساس قبول أهلها اللواتيِّين دفع جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار. (انظر: فُتُوح مصر والمغرب، ج1، ص229).

[14]- ورد عند ابن عبد الحكم وابن عذاري باسم كسيلة بن لمزم وهو الأرجح، بينما جاء عند الرقيق باسم كسيلة بن ليوم الأوربي، وعند ابن الأثير بكسيلة بن كمرم، وهو زعيم قبيلة أوربة البرنسية، أسلم بفضل الفاتح أبي المهاجر دينار، ولما تولى عقبة بن نافع للمرة الثانية ضيَّق عليه وأساء إليه وأهانه حينما أمره بسلخ الغنم مع غلمانه. قيل أنَّه تحالف مع الروم ضدَّ عقبة وجنده في معركة تهودة سنة 64هـ/684م والتي أسفرت عن استشهاد عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار، تولى أمر القيروان بعد عقبة حوالي خمسة سنوات إلى أن قتل في معركة تمس ضدَّ جنود زهير بن قيس البلوي. (انظر: فُتُوح مصر والمغرب، ج1، ص267 وما بعدها ؛ تاريخ أفريقية والمغرب، ص44-45 ؛ الكامل في التَّاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1987م، ط1، ج3، ص452-453 ؛ البيان المغرب، ج1، ص28 وما بعدها ؛ رياض النُّفوس، ج1، ص 39 وما بعدها ؛ تاريخ ابن خلدون، ج4، ص237-238).

[15]- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33 ؛ الدبَّاغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، 1968م، ط1، ج1، ص46.

[16]- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص266 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص22.

[17]- استطاع أبو المهاجر دينار تحطيم الحلف الذي كان بين الروم البيزنطيِّين وقبيلة أوربة البربريَّة، بفضل معاملته الحسنة للبربر وزعيمهم كسيلة بن لمزم، فدخلت أعداد كثيرة من بربر المغرب الأوسط في الإسلام وانضمت إلى جيش الفتح. (انظر: السلاوي: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص37 ؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م، ص130).

[18]- تمرُّ المصادر التَّاريخيَّة مرًا سريعًا على ولاية أبي المهاجر، إمَّا لأنَّها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثَّانيَّة، أو بسبب استياء الرواة من تصرفات أبي المهاجر وإساءته لعقبة، وتخريبه للقيروان. (انظر: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السَّابق، ص129).

المهاجر نحو مدينة تلمسان[19].

والمؤكد أنَّ جيش أبا المهاجر خلال حملته هذه، مرَّ بالمناطق الداخليَّة للمغرب الأوسط، ولم يكن مروره من جهة الساحل لأنَّ الروم كانوا يملكون سواحل بلاد المغرب، فيجب على أبي المهاجر أن يقوم بتجنب الدخول في مواجهة البربر والبيزنطيِّين معًا.

وقد مرَّ خلال حملته هذه على مدينة بسكرة ونواحيها، وحارب بعض الولاة ورؤساء القبائل في جهات قسنطينة وانتصر عليهم وذلك عام 59هـ/679م[20]، واتخذ مدينة ميلة مركزًا لعملياته الحربيَّة[21] وابتنى بها دار الإمارة وجعلها ملاصقة للجامع، ومكث بها سنتين[22]، ثمَّ عاد إلى المغرب الأدنى سنة 61هـ/680م واستقرَّ بعاصمته الجديدة تاكيروان عامًا واحدًا حتَّى عُزل[23].

والملفت للنظر أنَّ أبا المهاجر خلال حملته هذه على المغرب الأوسط، لم يترك واليًا أو حامية عسكرية تحمي عاصمته تاكيروان والمدن المفتوحة في المغرب الأدنى، ولم يبق بها غير الشيوخ والنِّساء[24]، والمؤكد من تصرفه هذا أنَّه كان مطمئنًا من أنَّ القبائل البربرية التي لم يمض على إسلامها وقتًا طويلًا لن تستغل الفرصة وتقوم بالهجوم على عاصمته والاستيلاء عليها، وهذا دليل آخر على أنَّه آمن شرهم بفضل المعاملة الحسنة التي كان يعاملهم بها.

ونشير إلى أنَّ أبا المهاجر توغل في بلاد المغرب الأوسط ووصل حتَّى تلمسان إلَّا أنَّ فتح هذه البلاد لم يكن فتحًا مؤزرًا وحقيقيًا رغم مكوثه حوالي عامين بمدينة ميلة، لأنَّ جيوشه عادت إلى المغرب الأدنى ولم تستقر في المغرب الأوسط لتدعيم عملية الفتح لدى قبائل البربر جميعًا.

استشهاده:

عندما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين، واستتب له الأمر باستقرار أوضاع الخلافة الأمويَّة بالمشرق ولو نسبيًا، فكر في بعث الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب من جديد، فقام بعزل أبي المهاجر دينار وإعادة عقبة بن نافع لولاية المغرب وهذا في سنة 62هـ/682م[25].

فسارع عقبة بعد تعيِّنه هذا إلى إعادة بناء القيروان ونقل النَّاس إليها، كما قام بتوثيق أبي المهاجر دينار

---

[19]– رياض النُّفوس، ج1، ص33 ؛ معالم الإيمان، ج1، ص46 .

[20]– عن خط سير حملة أبو المهاجر دينار على المغرب الأوسط. (انظر: الخريطة المرفقة بالمقال).

[21]– عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ط4، ج1، ص127 ؛ يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2007م، ج1، ص86.

[22]– عبد الرَّحمان الجيلالي، المرجع السَّابق، ج1، ص127–128 .

[23]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السَّابق، ص130.

[24]– المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33.

[25]– المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33–34 ؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص450 ؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237.

بالحديد[26] وإذاية كسيلة وإهانته[27]، ثمَّ تجهز لمحاربة الروم ومواصلة الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب الإسلامي، وقام بتجهيز حملة كبيرة انطلقت من القيروان، فتح على إثرها الكثير من مدن المغرب الأوسط خاصةً في الأوراس[28]، وبلاد الزاب[29]، كما فتح مدينتي تيهرت وتلمسان، ثمَّ اتجه إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة، ثمَّ قاتل البربر في السوس الأدنى والأقصى[30].

وفي طريق عودته من المغرب الأقصى طلب من جيشه أن يسبقه إلى القيروان وبقي في قلة، فكمن له البيزنطيِّين واتصلوا بكسيلة الأوربي وتحالفا معًا لقتال عقبة[31]، وقيل أنَّ كسيلة إنَّما أتى ناصرًا لأبي المهاجر لأنَّه كان صديقه[32]، وقبل بداية المعركة بين الجيشين كان أبو المهاجر موثقًا بالحديد، فلما رأى أنَّ المعركة قاب قوسين أو أدنى من النشوب تحصر على عدم قدرته على المشاركة بها وتمثل بقول أبي محجن الثقفي:

كفى حزنًا أن ترتدي الخيلُ بالقَنَا ... وأُترك مشدودًا عليَّ وثاقيا

إذا قمتُ عَنَّاني الحديدُ وأُغْلِقَتْ ... مَصَارِعُ مِنْ دُوني تُصِمُّ المناديا[33]

فبلغ عقبة ما قاله أبو المهاجر فأطلق سراحه وقال له "الحق بالمسلمين وقم بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة" فأبى ذلك وقال "أنا أيضًا أريد الشهادة"[34]، ولمَّا التقى الجمعان في منطقة تهودة بالقرب من مدينة بسكرة بالمغرب الأوسط قاتل أبو المهاجر وعقبة قتال الأبطال وأسفرت المعركة عن استشهادهما معًا وجميع الجند الذين كانوا معهما[35] وذلك سنة 64هـ/684م[36].

---

[26]- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص267 ؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص34.

[27]- ذكر المالكي وابن عذارى مع اختلاف بسيط في أقوالهما أنَّ أبا المهاجر نصح عقبة وحذَّره من مغبة معاملته السيئة لكسيلة خاصةً عندما أمره بسلخ الغنم مع جنده، حيث قال له "بئس ما صنعت، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألَّف جبابرة العرب، وأنت تجيء إلى رجل هو خيار قومه، في دار عزه، قريب العهد بالشرك فتهينه، توثَّق من الرجل فإني أخاف فتكه" فلم يلتفت عقبة لنصيحته، فقام كسيلة بالانتقام لكرامته بتجهيز جيشه، وكمن مع البيزنطيِّين لعقبة في تهودة. (انظر: رياض النُّفوس، ج1، ص40-41 ؛ البيان المغرب، ج1، ص29).

[28]- الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص42 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص24.

[29]- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص36-37 ؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص451 ؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص49.

[30]- ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص451 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص25 وما بعدها ؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237.

[31]- ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص452.

[32]- يذكر المالكي والدبَّاغ أنَّ كسيلة جاء للمعركة لكي يدافع عن صديقه أبي المهاجر، فَقُتل أبو المهاجر في التحام القتال بين الجيشين ولم يعلم به. (انظر: رياض النُّفوس، ج1، ص40 ؛ معالم الإيمان، ج1، ص52).

[33]- ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص452.

[34]- ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص452 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص29.

[35]- يذكر ابن خلدون أنَّه استشهد مع أبي المهاجر دينار وعقبة بن نافع ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين، وأُسِرَ محمَّد بن أوس الأنصاري في نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم إلى زهير بن قيس البلوي بالقيروان. (انظر: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص238).

[36]- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص39-40 ؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، ج3، ص452 ؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1،

خاتمة:

نجح أبو المهاجر دينار باعتماده سياسة الاعتدال والوسطية مع البربر ومعاملتهم معاملة حسنة، في كسبهم إلى الإسلام والانضمام إلى جيوشه، فساهم ذلك في استمرار عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الأوسط لأول مرة. وقد أصبحت الفتوحات في عهده أكثر قوة وفعالية.

وقد تجلت سياسة أبي المهاجر الحكيمة، وظهر للعيان شدة ذكائه وفطنته لمَّا أقنع زعيم البربر البرانس كسيلة بن لمزم الأوربي بالدخول في الإسلام، فدخلت بذلك أعداد كثيرة من قبيلته في هذا الدِّين العظيم، فتقوت شوكة المسلمين وعظم شأنهم وتوسعت فتوحاتهم في المغربين الأدنى والأوسط.

استمالة أبي المهاجر للبربر وزعيمهم كسيلة إلى صفه، جعل أواصر الحلف التي كانت بين البربر والروم البيزنطيِّين تنهار، فتفرغ بذلك أبي المهاجر لحرب البيزنطيِّين حيث تمكن من تشديد الحصار عليهم في قرطاجنة حتَّى نزلوا له على شبه جزيرة شريك القريبة من قرطاجنة.

سنَّ أبو المهاجر دينار سُنَّةً حسنةً بانتهاجه أسلوب المعاملة الحسنة مع البربر، وقد تبعه الولاة الذين جاءوا بعده واستنوا بسنته فانضم إلى جيش حسان بن النعمان عدد كثير من البربر المتواجدين ببرقة وطرابلس وغيرها من المدن وقد جعل في مقدمته هلال بن ثروان اللواتي، كما عفا حسان عن ولدي الكاهنة لمَّا قضى على مقاومتها وجعل كل واحد منهما قائدًا على ستة آلاف جندي بربري انضموا إليه، كما استقطب موسى بن نصير أعداداً هائلة من البربر إلى جيشه الفاتح بفضل هذه السياسة السمحة وتمكن من استكمال فتح بلاد المغرب قاطبةً، وولى على مدينة طنجة طارق بن زياد وكلفه بفتح الأندلس بجيش أغلبه من البربر كما تذكر المصادر التَّاريخية.

وعلى العموم فقد اتفق المؤرخون أنَّ فتوحات أبا المهاجر دينار كانت على جانب عظيم من الأهمية والخطورة، فإنَّه أول من جعل غايته الأخيرة فتح البلاد وتثبيت قدم الإسلام فيها، فهو لم يعاهد الروم البيزنطيِّين على أن ينصرف على مدينة قرطاجنة كما فعل الفاتح عبد الله بن أبي سرح لقاء جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة قنطار من الذهب، وإنَّما طلب إليهم أن يتنازلوا له عن جزء من البلاد لأنَّه لم يطلب المغنم والعودة، وإنَّما كان يرغب في إتمام فتح بلاد المغرب.

التوصيات:

– ضرورة الاهتمام بتاريخ الغرب الإسلامي عامةً والفتوحات الإسلاميَّة لبلاد المغرب خاصةً، وإبراز بطولة قادته من الصحابة والتابعين بالخصوص الذين لم ينالوا حظًا وافرًا من الدِّراسة والاهتمام لدى الباحثين، مثل الفاتح أبو المهاجر دينار.

– دراسة تاريخ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب بكل موضوعية بعيدًا عن التَّعصب والتَّحزب، وضرورة الرد على المستشرقين الذين حاولوا طمس حقائق ساطعة على الفتوحات الإسلامية وقادتها.

– تقديم أمثلة جلية عن منهج الاعتدال والوسطية من تاريخنا الإسلامي العريق، وذكر الرِّجال والقادة

ص28–29 ؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص52 ؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237–238.

الذين سلكوا هذا المنهج وجعلهم القدوة لدى الأجيال.

– ضرورة محاربة التَّطرف في المجتمع الإسلامي عن طريق إبراز منهج الاعتدال والوسطية على أنَّه الحل الأمثل والأنجع لصلاح الفرد والمجتمع.

الملاحق:

خريطة توضح : حملة الفاتح أبو المهاجر دينار على بلاد المغرب الأوسط

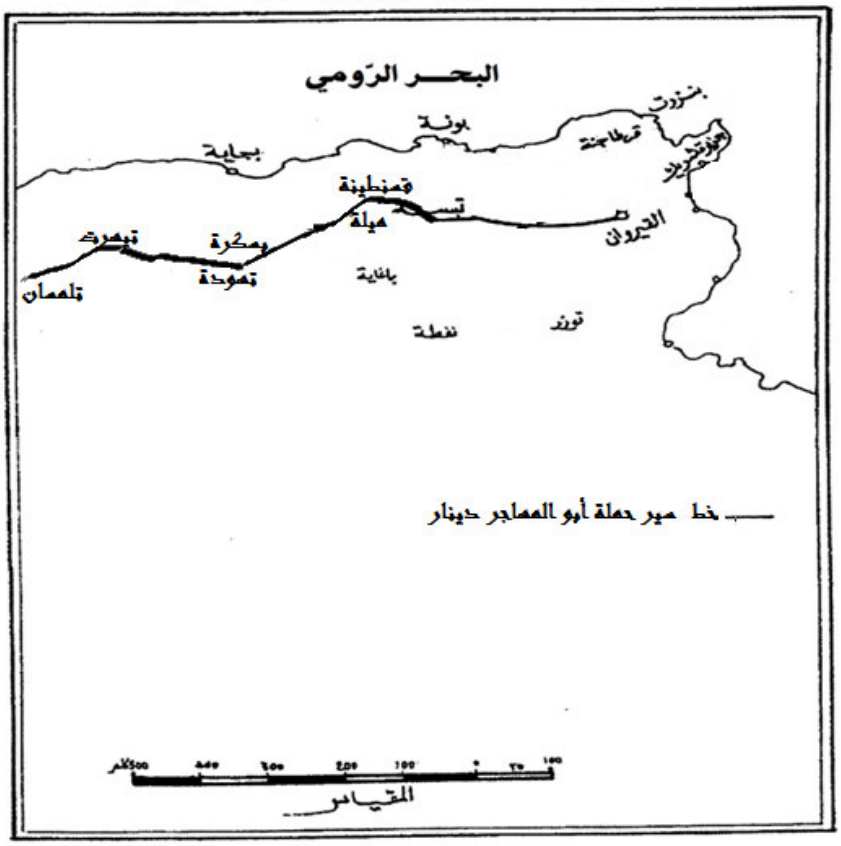

المالكي، **رياض النفوس**، ج1، ص33 ؛ الدباغ، **معالم الإيمان**، ج1، ص46 ؛ عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ص127

قائمة المصادر والمراجع:

ـ المصادر:

– ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م): **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، ج3، ج4، 1987م.

– ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد (ت808هـ/1406م): تاريخ ابن خلدون، المُسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في

تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ج4، 2000م.

– الدبَّاغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت696هـ/1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، ط1، ج1، 1968م.

– الرَّقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 425هـ/1033م): تاريخ أفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ط1، 1994م.

– ابن عبد الحكم، عبد الرَّحمان بن عبد الله (ت257هـ/871م): فُتُوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، ج1، د.ت.

– ابن عذارى المراكشي (كان حيًا سنة 712هـ/1312م): البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، ج1، 1983م.

– المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمَّد (توفي بعد سنة 460هـ/1068م): رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج1، 1994م.

– مجهول (عاش في القرن الثَّامن الهجري): مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، ط1، 2005.

- المراجع:

– بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، ج1، 2007م.

– الجيلالي عبد الرَّحمان بن محمَّد: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط4، ج1، 1980م.

– زيتون محمَّد محمَّد: المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م.

– السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، 1954م.

– السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م.

– لقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.